



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية
فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية - فصلية - محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العدد (١٨)

الترميز الدولي : ISSN 2075-8626



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

جامعة بغداد - كلية العلوم الاسلامية

محتويات العدد ١٨ لعام ٢٠٠٨

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
٧	د. احمد جلوب جاسم	حب الدنيا وشهواتها وفضلية لأخرة ونعيمها
٧٨	م.م . وضاح عامر عبد الباقي	وصايا لقمان لابنه
١٢٦	د. احمد عبد الستار الدهان	قارون في القرآن الكريم
١٨٩	د.علي جمال علي	العناية بالقران الكريم في العهد النبوي الشريف
٢٦٥	د. ساجر ناصر الجبوري حسين احمد النجدي	الرجوع في الهبة وموانعه في الفقه الاسلامي والقانون العراقي
٣٩٩	عمر جاسم عنيد	الوصية في المفهوم الاسلامي
٤٤٩	د. عبد محمود عزيز صفر	حكم امامة الصبي في الصلاة
٥٣١	د. حسين الشيخ غازي السامرائي	حكم جمع الصلاة من غير عذر عند الحاجة
٥٧٨	م. م . علي حسين علوان	حماية الاقليات وفقا لمبدأي حق تقرير المصير والتدخل الانساني
٥٧٨	د. محمد نجيب الجوعاني	الضوابط الفقهية واهم تطبيقاتها في باب الطهارة عند فقهاء الشافعية
٦٣٧	م.د. سعدي محمد عواد	قضية الخلاص في الفكر الديني واثرها في التصوف الاسلامي
٧٠٣	د. عبد هادي فريج القيسي	الزاهد ومتاع الحياة الدنيا
٧٥٠	د. عمر نجم الدين الجباري	الاحكام المتشابهة في الكتب السماوية المقدسة (القران والانجيل) دراسة تحليلية
٨٤٠	م.م. لقاء عادل حسين	الاستعارة في ديوان شجر القمر لمتازك الملائكة
٨٧٧	م.م. عماد علي الشمري	غزوة دومة الجندل واثرها في عصر النبوة والخلافة الراشدة
٩١٣	د. محسن قحطان حمدان	النظر في علم الكلام على ضوء مقاصده
٩٧٤	د. عبد الكريم هجيج طعمة	الاسماء و الصفات وما اصطلاحه الكلاميون
١٠٢٣	د. عبد الوهاب الاعظمي	المنهج الفقهي عند الامام القرطبي من خلال تفسيره آيات الاحكام
١٠٤٧	م.م. خالدة عثمان فتاح	الرثاء في شعر حافظ ابراهيم دراسة فنية موضوعية
١١٣٠	د. ابراهيم عبد الرزاق محمود الهيثي	قاعدة الاصل في الاشياء الاباحية واثرها في الشريعة الاسلامية
١١٧٠	د. اسماء نوري مزهر	حكم حق الانسان في الدفاع عن نفسه وحرماته في الفقه الاسلامي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

المنهج الفقهي عند
الإمام القرطبي
من خلال تفسيره
آيات الأحكام

بحث تقدم به

الدكتور عبد الوهاب الاعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى اله وأصحابه أجمعين .
وبعد ...

فان في امتنا أعلاماً عظاماً ، اشتهروا بالموسوعية في علومهم وان
وانتشر صيتهم في الآفاق بما قدموا لدينهم وأمتهم .
فأصبحوا مشاعل هداية ودعاة خير وخزائن علم الى ان يرث الله
الأرض ومن عليها .

من هؤلاء الأئمة الإمام القرطبي المتوفى عام ٧١٠ هـ) الذي
ترك بعده ميراثاً عظيماً من الكتب القيمة ، ومنها هذا الذي هو موضوع
بحثي تفسيره القيم (الجامع لأحكام القرآن) . أخذاً منه ومنهجه في
تفسير آيات الأحكام ، متتبعا أسلوب الاستقراء والتقصي والاستنتاج
لمعرفة أسلوبه والذي سلكه في تأليفه والوقوف على المصادر التي
اعتمدها في كتابه وجعلت البحث في تمهيد تسعة مباحث وخاتمة بأهم
النتائج والله اسأل الموفقية والسداد .

التمهيد

ترجمة الإمام القرطبي ومكانته العلمية

فلأجل الاطلاع على جهوده ومنهجه في - م ما ينبغي الوقوف على ملامح شخصيته من بداية انطلاقه ودراسته ومشايخه وتلاميذه ومصنفاته ومكانته العلمية بشيء من الإيجاز .

اسمه : هو الإمام العلامة شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي المالكي ، يكنى بابي عبد الله القرطبي (١) .

نشأته : نشأ على عبادة الله منذ نعومة أظافره فاشتهر بين الناس بالصلاح والتقوى ، فكان من العارفين الورعين الزاهدين المنشغلين بما يعينهم من أمور الآخرة ، أوقاته منصرفه ما بين عبادة ومحاسبة ودراسة وتدريس وتصنيف (٢) .

ملامحه : كان التواضع سمته طارحا التكلف ، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية .

(١) ينظر : مقدمة تفسير ، محققه احمد عبد العليم البردوني .
(٢) طبقات المفسرين ، الداودي ' ٦٥ ، عيون التواريخ ، للكتبي ' ١ ، ٢٧ ، كشف الظنون ، لحاجي خليفة : ٥٣٤ ، مقدمة محقق تفسيره ، طبقات المفسرين ، للسيوطي : ص ٢٨ ، نفع الطيب ' ٢١٠ ، معجم المؤلفين ، ٢٤٠ .

شيوخه : اما شيوخه فهم كثير ، ولكني اذكر الأهم منهم الذين اخذ منهم ولازمهم ، فقد سمع بن رواج ، وابن الحجري واخذ علم الحديث من الشيخ أبي العباس احمد بن عمر القرطبي ، فلما تمكن في هذا العلم اخذ يحدث عن الحافظ أبي علي بن محمد بن علي اليحصبي وغيره (١) .

فكان بعد هذا يقظاً منهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظاً (٢) .

آراء العلماء في تفسيره : قال ابن فرحوت : هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، اسقط منه القصص والتواريخ . واثبت عوضها ، أحكام القران ، وارتباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب ، والناسخ والمنسوخ (٣) .

مؤلفاته : فقد صنف كتباً كثيرة ، وكثرتها تدل على علمه الوافر وكثرة اطلاعه وأمانته في النقل (٤) . قال الذهبي وقد سارت بصنفته المرابات منها (كتاب الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى أو كتاب التذكار في أفضل الأذكار) ووضعه على طريقة (التبيان

(طبقات المفسرين ، الداوودي ' ٦٦ ، طبقات المفسرين ، للسيوطي : ص ٧٩ .

(معجم المفسرين ' ٤٧٩ ، شذرات الذهب : ص ٢٣٥ .

(الوافي ' ١٢٢ ، نفع الطيب ' ٢١٠ ، معجم المؤلفين ، ٢٤٠ .

(الأعلام ، للزركلي ' ٣٢٢ ، عيون التواريخ ' ١ ، ٢٧ ، الديباج ' ٣٠٨ .

للإمام النووي) وكتاب (التذكرة على أحوال الموتى وأمور الآخرة ، وله كذلك أرجوزة في أسماء النبي ﷺ)^(١) .

وفاته : وبعد أن أتم طلبه للعلم في بلاده الأندلس ، ارتحل حتى استقر في بلاد الشرق وتحديداً في مصر بصعيدها - شمال أسوط ، وبقي فيها حتى جاءت المنية فتوفي فيها سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة^(٢) . رحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته أمين .

المبحث الأول

الغاية من تأليف هذا التفسير

فقد كتب كثير من العلماء قبل الإمام القرطبي وبعده كتباً بينوا فيها الأحكام الشرعية مستنبطة من كتاب الله ﷻ في مسائل العبادات والمعاملات . فما من آية إلا فيها حكم شرعي يستفاد منه كما وضح ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ومعظم آية القرآن لا تخلو من أحكام مشتملة على أمور الإنسان بحاجة إليها إما تصريحاً أو تلميحاً^(٣) .

(١) الأعلام ، للزركلي ، ٢٢٢ ، شذرات الذهب ، ٢٣٦ .

(٢) طبقات المفسرين ، للداودي ، ٦٦ ، كشف الظنون ، ٥٣٤ ، الأعلام ،

للزركلي ، ٣٢٢ ، عيون التواريخ ، ٢٧ .

(٣) قواعد الحكماء ، للعز بن عبد السلام ، ٥ ، الإتيقان ، ٤١ .

بل اننا نجد من اله ماء من أحصى آيات الأحكام كالإمام الغزالي
رحمة الله عليه ، وغيره ، حين أوصلوها الى خمسمائة وقال بعضهم :
مائة وخمسون (١) .

ويقول الإمام السيوطي في إتقانه : (والفقهاء يكاد يسرد في تفسيره
الفقه من باب الطهارة الى أمهات الأولاد وربما استطرده الى إقامة أدلة
الفرع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين
كالقرطبي) (٢) .

والإمام القرطبي في التفسير انتهج في تفسير آيات الأحكام منهجاً
متميزاً فريداً تفوق به عن ألف في هذا الجانب ، كابن العربي
٤٣ هـ) والجصاص (٧٠ هـ) وغيرهم (٣) . خاصة إذا عرفنا الغاية
التي من أجلها كتب تفسيره الجامع .

وإذا راجعنا كتابه الجامع فإننا سنجد الإمام يصرح عن سبب تأليفه
إياه ، فيقول بعد أن حمد الله بما هو أهله ومصلياً على رسول الله ﷺ
وبعد : فلا كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرح الذي استقل
بالسنة والقرض ، ونزل به أمين لسماء الى أمين الأرض ، رأيت أن
اشتغل به مدى عمري ، واستفرغ فيه أمتي ، بان اكتب فيه تعليقا وجيزا
يتضمن كتباً من التفسير واللغات ، والإعراب ، والقراءات ، والرد على

(١) الإتقان ' :٠ - ٤١ .

(٢) الإتقان ' ٢١٥ ، اللآليء الحسان : ص ٤٥٥ ، قصة التفسير ، للشرباصي : ص ٢١ .

(٣) التفسير والمفسرون النسخ الذهبي ' ٣٥ - ٤٣٦ .

أهل الزيغ والضلالات ، ومبيناً ما أشكل منهما بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف ، وعملته تذكرة الذي وذخيرة ليوم وعمل صالح بعد موتي ، وهكذا ، نسمع منه هذه الكلمات التي تنبئ عن صدقه في كل كلمة .
ثم بعدها يذكر لنا عمله في تفسيره القيم فيقول :

وشرطي في هذا الكتاب ، إضافة الأقوال الى قائلها والأحاديث الى مصنفها ، فانه يقال من بركة العلم أن يضاف القول الى قائله وكثيراً ما يجئ الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً ، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث .

ونحن نشير الى جُمل من ذلك في هذا الكتاب واضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه تبين (١) .

وهكذا بين لنا هذا الإمام الجليل الغاية من تأليف كتابه خدمة القرآن وليكون من أهل القرآن الذي هم أهل الله ، كما قالها النبي ﷺ { ان الله آهلين منا } قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال : { هم أهل القرآن أهل الله وخاصته } (٢) .

(١) مقدمة تفسيره ٣ - ١ .

(٢) سنن بن ماجه ، لفظ { أن الله آهلين من الناس } ، الجامع الصغير ، للسيوطي :

البحث الثاني

أسلوب القرطبي في التفسير

فلقد بذل الإمام القرطبي في تفسيره جهدا كبيرا وعناية فائقة يدلان على عمقه في البحث ومقدرته على فهم النص وإمامه بأصول الشريعة وما يحتاجه المفسر من علوم ومعارف بينهما أهل العلم في هذا الفن .

لذا نجده قد وضع خطة محكمة وسلك أسلوبا صائبا عرف العلماء فضله وعلمه ، في تأويل نصوص وعرض أقوال العلماء في الفقه والحديث واللغة . إذ نراه يعرض المسئلة عرضا لغويا ، ويستشهد بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب بشعرها ونثرها وأمثالها ، ثم يقسم النص القرآني الى مفردات ، ثم يستنبط منها المسائل الفقهية التي قد تصل الى عشرات المسائل جمع فيها أقوال العلماء والقراءات ، مبينا القراءة المقبولة المتفق عليها ، من القراءة الشاذة . اما في مسائل العقيدة وعلم الكلام فيظهر لنا من كلامه انه اشعري ويدور مع الحق أينما دار . وبعدها يرد على أهل الزيغ والأهواء وخاصة القدرية مجوس هذه الأمة كما قالها النبي ﷺ .

البحث الثالث

المصادر التي اعتمدها في تفسيره

نستطيع أن نقسم المصادر التي ذكرها الإمام القرطبي والتي تزيد عن الثمانين مصدرا في مختلف المعارف والعلوم .. من فقه ولغة وتاريخ وحديث اعتمد عليها الى خمسة مجاميع هي :

أولاً: مصادره من كتب التفسير:

١. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣٨ هـ).
 ٢. تفسير الكشاف للزمخشري (ت).
 ٣. تفسير الماوردي ٥٠ هـ).
 ٤. تفسير النقاش ٥١ هـ).
 ٥. أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٤٣ هـ).
 ٦. غريب القرآن لأبي عبيد (ت).
 ٧. تفسير مكي بن أبي طالب القيسي ٣٧ هـ).
 ٨. تفسير: بد الرزاق الصنعاني ١١ هـ).
 ٩. شكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت).
 ١٠. الوجيز في تفسير القرآن لابن عطية الأندلسي (ت).
- وغيرها كثير .

ثانيا: مصادره من كتب القراءات:

١. الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن احمد الفارسي (٧٧ هـ).
٢. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني (٩٢ هـ).
٣. كتب أبي عمر وعثمان الداني (٤٤ هـ).
٤. الرد على من خالف مصحف عثمان لأبي بكر الانباري (٢٨ هـ).
٥. وغيرها .

ثالثا: مصادره من كتب الحديث:

١. صحيح البخاري (٥٦ هـ).
٢. صحيح مسلم (٦١ هـ).
٣. سنن الترمذي (٧٩ هـ).
٤. سنن أبي داود (٧٥ هـ).
٥. سنن النسائي (١٠٣ هـ).
٦. سنن ابن ماجه (٧٣ هـ).
٧. سنن الإمام احمد بن حنبل (٤١ هـ).
٨. سنن الدارقطني (٨٥ هـ).
٩. سنن بن أبي شيبة (٣٩ هـ).
١٠. سنن البزار (٩٢ هـ).
١١. نواذر الأصول للترمذي للحكيم (ت) .
١٢. وغيرها .

رابعاً : مصادره من كتب الفقه :

- . موطأ الإمام مالك (٧٩ هـ) .
- ' . المدونة لسحنون بن سعيد (٤٠ هـ) .
- ' . التفریح في مسائل الفقه لابن جلاب (٧٨ هـ) .
- .. الاستذکار لابن عبد البر (٦٣ هـ) .
- .. كذلك أفاد القرطبي في عرضه المسائل الفقهية ومذاهب الفقهاء من كتب أدبيث الأحكام وشروح الموطأ ، وغيرها .

خامساً : مصادره من كتب اللغة والنحو :

- . المجمل لابن فارس (٩٥ هـ) .
- ' . مقاييس اللغة له أيضا .
- ' . تاج اللغة للجوهري (٩٣ هـ) .
- .. الكتاب لسيبويه (٨٨ هـ) .
- .. المقتضب للمبرد (٨٥ هـ) .
- .. الزاهر لابن الانباري (٢٨ هـ) .

سادساً : مصادره من كتب العقائد :

- . كتب أبي بكر بن الطيب الباقلاني (٠٣ هـ) .
- ' . كتب أبي المعالي الجويني (٧٨ هـ) .
- ' . دلائل النبوة للبيهقي .

وغیرها

يضاف الى هذه المجاميع الست مصادره في كتب التاريخ والسيرة والطبقات والتراجم وكذا التصوف ، وكما قلنا في البداية زدات عن الثمانين كتباً .

البحث الرابع

توسعة في ذكر الأحكام الفقهية

وهذه ظاهرة بيّنة واضحة في تفسيره حتى قال عنه بعض العلماء :
انه إفراط في ذكر الأحكام الفرعية ، وانتقل من مسألة الى مسألة ومن فروع الى فروع حتى بعد عن التفسير الى حد كبير (١) .
والظاهرة الواضحة في تفسيره ، انه كثيرا ما يكثر من الاستنباطات الفقهية والمسائل والتفريعات وذكر الخلافات المستفادة من الآية (٢) .
وهذا يؤخذ من عنوان تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ، لذا نراه حينما يفسر أي يذكر ان فيها عدة مسائل تصل أحيانا الى عشرات المسائل ، دون أن يعطي لها خلاصة أو رأياً راجحاً حين يذكر آراء جميع العلماء المجتهدين مع أدلتهم التفصيلية دون استثناء حتى المسائل الفرعية من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ﴾ (٣) قال : فيه أربع وثلاثون مسألة (٤) . وفي المسألة الحادية والثلاثين ، قال : واختلفوا في جلوس المرأة في الصلاة ، فقال

(١) اللآليء الحسان في علوم القرآن ، لموسى شاهين : ص ٤٧ .

(٢) التفسير ، للأستاذ الفاضل د. محسن عبد الحميد : ص ٤٨ .

(٣) سورة البقرة : آي ٣ .

(٤) انظر : تفسيره ٣٤٢ .

مالك رحمه الله : هي كالرجل لا تخالفه ، وقال النووي ، تسدل المرأة جلبابها من جانب واحد ، ورواه عن إبراهيم النخعي ، وقال أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه تجلس المرأة كأيسر ما يكون لها ، وقال الشعبي ، تقعد كيف تيسر لها وقال الشافعي تجلس بأستر ما يكون لها (١) .

المبحث الخامس

اقتصاره على آراء الإمام مالك وبعض الفقهاء المالكية أحيانا

وحق له ذلك لأنه مالكي المذهب بل يعد من أعمدة المذهب في عصره ، فنجد تارة يأتي بالآراء دون تعقيب عليها ويكرها دون مناقشة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انه ارتضى الجواب حول هذه المسألة ، وتارة يرجح ويختار جواب منها ، وسنذكر بعضاً من هذه المسائل .

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفْضَمْتُمْ مِنْ عُرْقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ ﴾ (١) قال الإمام : في المسألة الثالثة عشرة : وأما من أتى عرفه بعد رفع الإمام، وكان له عذر ممن وقف مع الإمام، فقد قال ابن المواز ، من وقف بعد الإمام فليصل كل صلاة لوقتها .

(١) تفسيره ٣٥٩ .

(١) سورة البقرة : آي ١٩٨ .

وقال الإمام مالك ، فيمن كان له عذر ينعى أن يكون مع الإمام ، انه يصلي إذا غاب الشفق الصلاتين يجمع بينهما جمع تأخير قبل أن يصل الى مزدلفة (١) .

وقال ابن قاسم : فيمن وقف بعد الإمام ، ان رجا أن يأتي المزدلفة ثبت الليل فليؤخر الصلاة حتى يأتي المزدلفة ، صلى كل صلاة لوقتها وبعد هذا العرض للأراء يوهها الإمام القرطبي قائلا : فجعل بن المواز تأخير الصلاة الى المزدلفة لمن وقف مع الإمام دون غيره وراعى مالك الوقت دون المكان ، واعتبر بن القاسم الوقت المختار الصلاة والمكان فإذا خاف فوات الوقت المختار بطل اعتبار المكان مكان مراعاة المختار أولى (٢) .

وهذا الوقف للإمام يدل على اقتصاره في هذه المسألة على الفقه المالكي وآراء فقهاء مذهبه دون أن يعقب عليها أو مناقشتها . اما المفاضلة بين آراء مذهبه وأخبارهما ، فهذا ما نجده في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (٣) . فقد بن فيها أكثر من ثلاثة عشرة مسألة ، وقال في المسألة الأربعة عشرة ، حكم التكبير في الصلاة وموقف بعض فقهاء المالكية منه ، ثم اختار منها اقرب الآراء الى رأي الجماعة ، وقوى اختياره بما استدل بأحاديث صحيحة (٤) .

(١) تفسير القرطبي ٤٢٢ .

(٢) تفسيره ٢٢ : - ٤٢٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣ .

(٤) تفسيره ١٧١ - ١٧٢ .

المبحث السادس

اتصاف تفسيره بالفقه المقارن المبني على الأدلة

فقد اجمع أهل العلم على هذه المسألة حين ترى انه يضم الى فقه المالكية فقه المذاهب الأخرى ، ويأتي مع كل رأي فقيه ومجتهد ، الأدلة التي في حوزته ، ومنها توصل الى حكم في مسألة ما . لأننا نعلم أن الحديث قد يصح عند واحد منهم ولا يصح عند الآخر ، مع اختلاف العلماء في مسائل الجرح والتعديل . وهذا من أهم أسباب الخلاف بين العلماء المجتهدين .

فمن هذه المسائل التي سلكها الإمام وسلك معها مسلماً إذ شبعها بحثاً ونقاش فرجح وأيد ذلك بالحجة والدليل ، والأمثلة في - ذا كثيرة منها :

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ،

نهج ذلك في المسألة الرابعة عشرة في اختلافهم في قدر الحصى . وله نهج آخر متميز بين المفسرين ، إذ يحاول الجمع بين هذه الآراء ، من خلال استعراضه ، أحاديث الخلاف عن طريق تأويلها تأويلاً يبعد عن التناقض ، التعارض ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله

(سورة البقرة : آية ٢٠٣ .

(١) تفسيره ١١ .

تعالى : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْمُكِنِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١) .

قال في المسألة الرابعة جامعا بين أقوال العلماء وأدلتهم بعد أن ساقها وبهذا يصح الجمع بين الأحاديث وهو أولى من إسقاط بعضها ولا تعارض والحمد لله .

وإذا تعذر عليه الجمع بين الآراء لجأ الى المفاضلة والترجيح ، وبين سبب ترجيحه على أساس علمي ، من ذلك عند تفسيره قوله تعالى ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٢) . فقال المسألة الثانية ، وقد اختلف العلماء في اخذ الأجرة على تعلم القرآن والعلم ، فقد رجع جواز اخذ الأجرة على عدم جوازها^(٣) .

(سورة البقرة : آية ١٢٥ .

(١) سورة البقرة : آية ٤١ .

(٢) تفسيره ٣٣٥ .

البحث السابع

عدم تعصبه لمذهبه

وقد شهد العلم للإمام القرطبي بهذه الميزة والفضيلة كل من كتب عنه من المتقدمين والمحدثين .

فإذا وجد ان هناك ضعف في حجيته وعند غيره من المذاهب حجة أخرى فانه يرجح غير مذهبه حين يرى أن الحق والدليل بجانبه (١) .

ولهذا وصفه الداودي بقوله (وتفسيره من اجل التفاسير وأعظمها نفع) . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَهْلَ لَكُمْ لِيَلَّةِ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نَسَائِكُمْ ﴾ .

فقد ذكر في المسألة الثانية عشرة أقوال أئمة المذاهب في مَنْ أكل وشرب ناسياً .. ثم رجح رأي غير المالكية وقال ، قلت وهو الصحيح وبه قال الجمهور (٢) . وغيرها كثير (٣) .

(١) طبقات المفسرين للداودي ' ٦٥ .

(٢) اللائي الحسان : ص ٤٧ ، ومقدمة محقق تفسيره / جـ القرطبي ومنهجه .

(٣) سورة البقرة : آي ١٨٧ .

(٤) تفسيره ' ٣٢٢ .

(٥) راجع تفسير آي ٨٠ من سورة النحل .

البحث الثامن

إسقاطه الإسرائيليّات والقصص الغير مجدّية

لقد بنى الإمام القرطبي تفسيره على الروايات الصحيحة والأقوال الموثوقة ، كان يهتم بتخريج كل حديث يورده ، وينسبه الى من أخرجه كما كان يضيف الأقوال الى قائلها ، وكان يردد : من بركة العلم أن يضاف القول الى قائله .

لذلك وعند هذا المحك العلمي الدقيق والتحري السليم استبعد ا! حادّث الموضوعه ، والأخبار الإسرائيليّة والأقوال المكذوبة ، وان ذكرها فانه يشير الى مصدرها ، هي التي لا بد منها للتبيين .

البحث التاسع

رغم جلاله قدر الإمام القرطبي وسعة علمه وحسن عرضه في تفسيره إلا أن الجهد البشري لا بد أن يعتريه نقص ويصيبه خلال ليبقي لكمال لكتاب الله ﷻ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^١ فانه لكل متكلم هفوة ولكل جواد كبوة .

ومن هذه الهفوات إيراده بعض الإسرائيليّات والأخبار الخرافية التي لا يقبلها عقل، وانه خالف أحيانا ما يشترطه على نفسه في مقدمة كتابه .

(سورة النساء : آي ٨٢ .

فقد نقل عن كعب الأخبار ، وغيره من الأخبار الإسرائيلية في الحوت الذي يحمل الأرض على ظهره ^(١) أو الحية التي كانت خادمة لآدم في الجنة ثم خانته ^(٢) . وان الرعد هو ملك يسوق السحاب بمخاريق من نار ^(٣) . أو اسم الكلب في قصه أصحاب الكهف ولونه ^(٤) . أو أن العرش على كاهل إسرافيل ^(٥) أو ثمانية أو عال فوق ظهورهن ^(٦) .

كما ويسجل عليه إيراده بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة دون تعقيب عليها أو تعليق .

كما انه ينقل أحياناً من العلماء من كتبهم وأقوالهم من غير أن يشير الى أو يلمح الى ذلك .

وأخيراً لابد من لقول الفصل ، فان هذا أو ذاك لا يمكن أن ينقص من تفسيره أو شخصيته أو علمه فانه رحمه الله تابع ثقافة عصره وما تجري به ألسنة العلماء في ذلك الزمان .

(تفسير القرطبي ٢٥٧ ، وانظر مقدمة محققه .

(١) تفسير القرطبي ٣١٣ .

(٢) تفسيره ٢١٧ .

(٣) تفسيره ٣٧ .

(٤) تفسيره ٣٢٠ .

(٥) تفسيره ٢٦٧ .

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة لجهود ومنهج الإمام القرطبي في تفسير آيات الأحكام أرى أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي :

أولاً : ان غايته وغرضه من تفسيره هو استنباط الأحكام العلمية من الآيات وتوضيحها للتعرف عليها .

ثانياً : انه خط لنفسه البعد عن كل ما يسئ الى عمله ويسلك أسلوب المنهجية العلمية .

ثالثاً : انه رجع في كتاب تفسيره الى أكثر من ثمانين مصدرا في مختلف العلوم الشرعية والعقلية .

رابعاً : انه توسع في ذكر الأحكام الفقهية وإكثاره من المسائل والتفرقات .

خامساً : انه كان يقتصر أحيانا على آراء مالك وبعض فقهاء المالكية ويختار منها .

سادساً : أن أسلوبه يتصف بالفقه المقارن المبني على أدبيات الخلاف والتزامه قواعد وأصول الفقه مما حقق له توازن واعتدال في منهجه .

سابعاً : يظهر لنا من منهجه انه غير متعصب لمذهبه .

ثامناً : انه سقط من تفسيره القصص والتواريخ التي لا حاجة لها .

تاسعاً : انه قدم تفسيره في تسعة عشر بابا في فضائل القرآن وجمعه ومراتب المفسرين ووجوه إعجاز القرآن .
عاشرا : ذكره للإسرائيليات والأخبار الموضوعة من غير حاجة إليها .

وأخيراً أسأله تعالى التوفيق فيما أصبوا إليه ، وان قصرت في شيء فهذا شأني فان الكمال لله تعالى وحده والعذر عند كرام الناس مقبولاً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

- ١ . الإِتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ١١ هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .
- ٢ . الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ١ ، ٤ ، نشر دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ .
- ٣ . التفسير ، د. محسن عبد الحميد د. قحطان الدوري ، دار المعرفة ، بغداد ١٩٨٠ .
- ٤ . التفسير والمفسرون ، د. محمد حسين الذهبي ، مطبعة السعادة ، ط ١٩٧٦ .
- ٥ . التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية ، د. محمود السيوتي فودة، مطبعة الأمانة مصر ١٩٧٨ .
- ٦ . الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ٧١ هـ) تحقيق احمد عبد العليم بردوني ، مطبعة دار لفكر .
- ٧ . دراسات في التفسير والمفسرون ، د. عبد القهار داود العاني .
- ٨ . طبقات المفسرين ، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودي ، مطبعة الاستقلال الكبرى ١٩٧٢ .

- ١ . طبقات المفسرين ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية .
- ٢ . شذرات الذهب من أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، القاهرة .
- ٣ . عيون التاريخ ، لمحمد بن شاکر الکتبي ٦٤ هـ) ، تحقيق : د. فيصل السامر ، ط. بغداد ١٩٨٤ .
- ٤ . القرطبي ومنهجه في التفسير ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٧٩ .
- ٥ . قصة التفسير ، د. احمد الشرباصي ، ط دار الجيل ١٩٧٨ .
- ٦ . قواعد الأحكام من مصالح ، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٧ . كشف الظنون عن اسمي الكتب ، للحاجي خليفة ، دار الفكر ١٩٨٢ .
- ٨ . اللآلئ الحسان في علوم القرآن ، لموسى شاهين ، مطبعة دار التأليف ، مصر ١٩٦٨ .
- ٩ . معجم المفسرين ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض لثقافية ١٩٨٨ .

- ٨ . هدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادي ١٩٥٥ .
- ٩ . معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٦١ .
- ١٠ . الوافي بالوفيات ، للصفوي ١٩٨٢ .
- ١١ . الديباج ، المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المدني ، تحقيق : محمد أبو النور ، القاهرة ١٩٧٤ .
- ١٢ . نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرّي ، تحقيق : إحسان عباس ١٩٦٨ .